الأدب من منظــور الشّريعة الإسلامية ــ دراسة ســردية وصفية

أ. عبدالحميد مصباح عبدالجليل احميد*
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، كلية التربية ، جامعة الزنتان، ليبيا
تاريخ الاستلام 12 / 4 / 2025م تاريخ القبول 18 / 10 / 2025م

Literature from the Perspective of Islamic Law: A Narrative and Descriptive Study

A. Abdulhamid Musbah Abduljalil Ahmed — Department of Arabic Language and Islamic Studies — Faculty of Education — University of Zintan

Summary:
This research summarizes the life of the Prophet, peace be upon him, with literature, peace be upon him, and his listening to poetry in particular, his admiration for it, his permission of it on many occasions, his criticism of it at other times, and recounts many literary examples related to the prophetic era, attributing them to their authors. It also discusses the influence of literature in the prophetic era on social and political life and decision-making, and the use, acceptance, criticism, and correction of literature by the Rightly Guided Caliphs and other Companions. It provides many literary examples related to the era of the Companions. The followers and those who came after them were not immune to what their predecessors, the Messenger of Allah, peace be upon him, and the noble Companions, may Allah be pleased with them, did in terms of using literature, engaging in it, accepting it, criticizing it, and correcting those who erred in it. He narrated many literary examples related to the era of the followers and those who came after them

الملخـــص :

وقد تلخص هذا البحث في حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع الأدب ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسماعه للشعر خاصة وإعجابه به وإذنه فيه في كثير من الأحيان، ونقده له في أحايين أخرى ، وسرد كثير من الشواهد الأدبية على التي تتعلق بالعهد النبوي، ونسبتها إلى قائليها ، وتأثير الأدب في العهد النبوي على الحياة الاجتماعية والسياسية واتخاذ القرارات بشأن ذلك ، واستعمال الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة للأدب وقبولهم له ونقدهم له وتقويمه لما اعوج منه، سرد كثير من الشواهد الأدبية على التي تتعلق بعهد الصحابة ، ولم يكن التابعون ومن جاء بعدهم بمنأى عن ما كان عليهم سلفهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم ـ من

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-N

استخدام الأدب وتعاطيه وقبوله ونقده، وتصحيح مسار من أخطأ فيـه، سـرد كثيـر مـن الشواهد الأدبية على التي تتعلق بعهد التابعين ومن بعدهم.

المقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمـة للعـالمين، محمـد النبـي الكريم، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من حكمة الله البالغـة إرسـال الرسـل لهدايـة الخلـق إلـى دينـه الحـق، وصـراطه المستقيم، بعد أن اجتالتهم الشياطين عـن دينـهم الـذي ارتضـاه لهـم، واقتضـت حكمتـه ـ سـبحانه ـ أن يكـون رسـله وأنبيـاؤه مُؤيَّـدُونَ بمعجـزات ظـاهرة، تُصـدِّق دعـوى أنهـم مبعوثون من عند الله ـ جل وعلا ـ ليؤدوا رسالة الله ـ عز وجل ـ وهي تصحيح ما اعوج من أمر الناس، وإرجاعهم لدينه الحق .

ولما كان ذلك، فقد أصبح من الطبيعي أن تتنوع هذه المعجزات فتكونَ من جنس مـا برع فيه قوم ذاك الرسول المُرسَلِ إليهم ، وأكثر قوم بعث الله لهم الرسل بنـوا إسـرائيل، لفرط معاندتهم ومعارضتهم لما جاءت به رسل الله ـ تعالى.

وقد أرسل الله رسلا قبل بني إسرائيل هم من أجناس مختلفة، وكان منهم هود وصـالح ـ عليهمـا السـلام ـ وهمـا مـن العـرب البائـدة، ثـم انقطعـت الرّســالة فـي العـرب آلاف السنين، إلى زمن موسى ـ عليه السلام ـ وكان من بني إسرائيل وكان معه شعيب ـ عليـه السلام ـ وهو من قوم مدين من العرب.

ثم بعد نبي الله عيسى ـ عليه السـلام ـ انقطعت الرّسـالة عـن العـرب خاصـة، وعـن الناس عامة، حتى يئس الناس من إرسال الرسل، فنظر رب البريـة إلـى الخلـق أجمعهـم نظرة إشفاق ـ سيما العرب منهم ـ بعد أن تاقت نفوسهم، ورقّت أفئدتهم، فشملهم بألطافه، وأفاض عليهم من جزيل كرمه وعطفه؛ فختم لهم بالمسك وبالنسمة المباركة، وأكمل لهم الدُّرَّة الأغلى في العقد، واللبنة الأخيرة في البناء المبارك، بعد اشتياقهم وطول انتظارهم وحيرتهم.

فكان محمّد بن عبدالله ـ صلى الله عليه وسلم ـ آخــر أنبيائه ورسله من العرب، وهذه مزية لهم ما

بعدها مزية، ومنـة وتفضـل منـه ـ سـبحانه ـ ﴿ **لَقَدْ أَنْزَلْنـا إِلَـيْكُمْ كِتابـاً فِيـهِ ذِكْـرُكُمْ أَفَـلا تَعْقِلُونَ**﴾ (الأنبياء ـ الآيـة (10) ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِـنْ أَنْفُسِـهِمْ**

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ (سورة آل عمران ـ الآية (164)، فالحمد لله على التمام والكمال.

وامتاز العرب عن الناس بحسن المنطــق وجودة اللسان وقوة البيـان، وفـاقوا النـاس في ذلك، فكانوا يتنافسون بأشعارهم ونثرهم وخطـبهم، حتـى طوَّعـوا الأدب وبلغـوا فـي ذلك الغاية، فجاءت معجزة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الخالدة من جنس مـا نبـغ فيه القوم وهو: ـ صناعة الأدب ـ وتفننهم فيه، فبينما هم على ذلـك أنـزل الله فـيهم كتابـه، فأعجزهم بجنس من الكلام هو بلغتهم لم يخرج عنها قيد أنملة، فقطع حجـتهم، وعجـزوا عن معارضته والإتيان بمثله، وتحداهم الله أن يأتوا بمثله فعجزوا، ثـم بعشـر سـور مـنخ فعجزوا، ثم بسورة واحدة فعجزوا، ثم بآيات منه فعجـزوا، ثـم بآيـة واحـدة فعجـزوا، ثـم قطع رجاءهم وأملهم بأنه لا يمكنهم ذلك أبدا، فقال ـ تعالى ـ :﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾ (سورة الإسراء ـ الآية (88) فأذعنوا له وسلموا بإعجازه على كره، وآمن مـنهم مـن أراد الله لـه الهداية بعد أن عـرف إعجـازه وعظمتـه، وعانـد أكثـر المشـركين كبـرا وغطرسـة، مـع علمهم التام بإعجازه وقوة حجته وفصـاحته، ﴿ **وَجَحَدُوا بِهـا وَاسْـتَيْقَنَتْها أَنْفُسُـهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾** (سورة النمل ـ الآية (14).

ومع عجز العرب عن معارضة القرآن وتسليمهم له، فهـذا لا ينفـي تميـزهم عـن بقيـة الأمم بالفصاحة والبلاغة والأدب، من شعر ونثر وخطب، فبرعوا في ذلك، وشرَّقوا فيه وغرَّبوا، وظهرت منهم الأعاجيب في كل فن ؛ ولكن ارتضى الإسلام من ذلك ما تسمو به النفس وترتقي إلى الفضائل، بل ورغَّبهم فيه وحثهم عليه، وسار على نهجهم في ذلـك غيرهم ممن تعلم العربية وبرع فيما برع فيه العرب.

وتظهر أهمية الموضوع في تسليط الضـوء ضـمنَ هـذه الورقـات علـى هـذا الـنمط الراقي من الأدب، الذي أذن الشرع الحنيف فيه، وأقطع الشك باليقين فـي جـواز تعاطيـه واستعماله على وفق الحدود التي ضبطها وحدَّها الشارع الحكيم، وأسرد إن شـاء الله مـا تيسر من الأمثلة والشواهد من الأحاديث النبوية وآثار الصحابة، وأقوال التابعين وعلماء المسلمين التي تدل على جواز هذا النوع من الأدب، حتى لا يظن من قصر عقله أن دين الإسلام وشريعة الله جامدة ليس فيها إلا الأوامـر والنـواهي، ولـيُعلمَ أن فـي ديننـا فسـحة وسعة لمن تدبر وتعقل، وأن ديننا يسع الدنيا والآخرة.

وقد ناسب هذه الدراسة المنهج السردي الوصفي.

ومما تجدر الإشارة إليـه أن عملـي فـي هـذه الورقـات قـد اتسـم بالبعـد عـن النمطيـة والرتابة، واقتضى أن يكون تقسيم هذا البحث سلسا سهلا، فكانت خطـة البحـث فـي هـذه الدراسة من مبحثين، وهي على النحو الآتي:

المبحـث الأول ـ الأدب علـى عهـد النبـي ـ صـلى الله عليـه وسـلم ـ مفهـوم الأدب لغـة واصطلاحا ، وأولويات الناس فـي تعـاطي الأدب ، وأدب وخلـق رسـول الله ـ صـلى الله عليه وسلم ـ واستعماله لبعض ما هو مُتَّزِنٌ من الكـلام ، وتقـويم النبـي ـ صـلى الله عليـه وسلم ـ للشعر ، وتلفظ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ببعض الكلام الموزون، ولا يناقض هذا عدم تعليم الله له الشعر: **(وَما عَلَّمْنـاهُ الشِّـعْرَ وَمـا يَنْبَغِـي لَـهُ)** ، بعـض مـا جـاء فـي القرآن مما هو مُتَّـزِنٌ ، وتقـدير النبـي ـ صـلى الله عليـه وسـلم ـ لرجـل أثنـى علـى الله ـ عزوجل ـ بما هو أهله ومكافأته عليه ، وإعجابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالفصـيح البليـغ من الكلام وتشجيعه عليه ، وإقراره وقبوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأدب والشعر الـذي يسمو بالنفس إلى الفضائل، ويدعو إلى ترك الرذائل ، ومدح العبـاس ـ رضـي الله عنـه ـ للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ منصرفه من تبوك وفرح النبي بذلك ، والمبحـث الثانـــي ــ الأدب على عهد الصـحابة ـ رضـي الله عـنهم . والتـابعين ـ رحمهـم الله ـ ومـن جـاء بعدهم: أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يجيب بالشعر مشـركي قـريش حينمـا اتهمـوا المسلمين باستحلال الشهر الحرام ، وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنـه ـ وحبـه لـلأدب والشعر ونقده له وتأديبه لشعراء هجوا أقواما وأفرادا ذووا شرف ومكانة

عمر بن الخطاب يعاقب الشاعر الحطيئة ويلقيه في قعر بئر لهجوه الزبرقان بن بـدر ثـم يخرجه بعد أن أخذ بِلُبِّهِ واستعطفه بأبيات من الشعر ، وبلال بن رباح ـ رضي الله عنه ـ يسلب ألباب حي من الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ يخطب هـو وأخـوه ابنتيهمـا بفصـاحته مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس ـ رضي الله عنه ـ عن غَرِيبِ الْقُرْآنِ وَمُشْكِلِهِ

عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ والشعراء ، وأبو حنيفة النعمان بن ثابـت يخـرج رجـلا يقال إنه كان يهوديا من السجن ويواسيه بأبيات كان يقولهـا ، وتصـدير الإمـام البخـاري لكتاب الفتن من كتابه الصحيح الأدب من قبل بعض علماء الحديث للتنبيـه علـى بعـض الموضوعات التي تهم الأمة، والتحذير من خطر بعضها:

البحث في مبحثين حُرِّيْنِ اشتملا على عنوانات رئيسية فقط، دونما تقسيمها إلى مباحث ومطالـب، ومـما يجـدر التنبيـه إليـه أيضـا أن العناصـر الأساسـية للمقدمـة مـن أهميـة الموضوع إلى إشكالية البحث إلى غير ذلك قد ضُـمِّنتْ فيهـا دونمـا عنونتهـا بعنوانـات رئيسية أيضا، سائلا المولى ـ وهو أكرم مسؤول أن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

المبحث الأول ـ الأدب على عهد النبـي ـ صـلى الله عليـه وسـلم ـ مفهومـه ، وأولويات النـاس في تعاطي الأدب

مفهوم الأَدَبُ لغـــــــة: قال الزَّبيدي(1): الأدب: مُحَرَّكَةً الَّذِي يَتَـأَدَّبُ بِـهِ الأَديـبُ مـن النَّاس، سُمّيَ بِهِ لأَنـه يَـأْدِبُ النـاسَ إِلـى المَحَامِـدِ وَيَنْهَـاهُمْ عَـن المَقَـابِحِ، وأَصـلُ الأَدَبِ: الدُّعَاءُ، وَالأَدَبُ مَلَكَةٌ تَعْصِمُ مَنْ قَامَت بِهِ عمَّا يَشِينُه، وَهُوَ تَعَلُّمُ رِيَاضَةِ الـنَّفْسِ ومَحَاسِـن الأَخْلَاقِ، والأَدبُ يَقَع علـى كـل رِيَاضَـةٍ مَحْمُـودَةٍ يَتَخَـرَّجُ بهَـا الإِنسـانُ فِـي فَضـيلَة مـن الفَضَائِلِ، وهُوَ استعمالُ مَا يُحْمَدُ قَوْلاً وفِعْلاً، أَو الأَخْذُ أَو الوُقُـوفُ مَـعَ المُسْتَحْسَـنَات، أَو تَعْظِيمُ مَنْ فوقَك والرِّفْق بمَن دُونَكَ، والأدب حُسْنُ الأَخلاق وفِعْلُ المَكَارِم، وإِطلاقُه على عُلُومِ العَرَبِيَّة مُوَلَّدٌ حَدَثَ فِي الإِسلام(2).

الأدب اصطلاحا: يطلق على سلوك يكون الإنسان به منتظما معاشرا لغيـره بـالتي هـي أحسن، ويُطلق على التعبير عما في النفس على وجه مشوق ليس يخل ولا يمل، ويكـون مناسبا للمقام ومستوى الحال.

أولويات الناس في تعاطي الأدب: وأعلاه الأدب مـع الله ـ عـز وجـل ـ ثـم الأدب مـع مـا عظّمه الله ـ سبحانه ـ كالأدب بشرع الله ومع شرع الله، على وفـق أمـره ونهيـه، والأدب مع ملائكة الله وأنبيائه ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وكذلك الأدب مـع أولـي الفضـل من الوالدين والعلماء وذوي القدر والمكانة من صالحي المسلمين وغيرهم.

والأدب مـع بعـض النـاس يختلـف مـع غيـرهم والنـاس يقولـون: تـرك الأدب مـع الأحباب أدب، والشاعر المعروف بشار بن بُرد(3) لما قال :

رَبَابٌ رَبَّةَ البَيْتِ تَصُبُّ الخَلَّ فِي الزَّيْتِ
لَهَا سَبْعُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكٌ حَسَنُ الصَّوْتِ

استنكر عليه أحد الشعراء فقال: أنت الذي تقول :

إِذَا المَلِكُ المِقْدَامُ صَعَّرَ خَدَّهُ مَشَيْنا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نُضَارِبُهْ

وتقول هذا ! فقال: اسكت، فهو عندها والله أحسن من:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ عندك، فلكل مقام مقال.

فالأدب ما هو إلا تعبير عما في النفس، فإن كانت النفس سامية راقية كان هذا التعبير ساميا راقيا، وأولى الناس بأن يتأدبوا ويحسنوا أقوالهم وأفعالهم ليكون قولهم مؤثرا هم أهل العلم، الذين ائتمنهم الله ـ عز وجل ـ على وحيه، وجعلهم ورثة لرسله.

أدب وخلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستعماله لبعض ما هو مُتَّزِنٌ من الكلام:

ولذلك أعظم الأدب أدب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأقواله لا تعدلها الأقوال، وأفعاله في أدبه كذلك لا تعدلها الأفعال، انظروا إلى أدبه مع طفل من أطفال المسلمين وهو يخاطبه فيقول: (**يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**)(4)، وهذا كلام ظاهره سجع، والسجعتان متساويتان على وفق المعلوم من قواعد السجع، وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإن كان نُزِّهَ عن الشعر فلئلا يدعي المشركون أن القرآن شعرا، وأنه من صنعه، لكنه لم ينزه عن الذوق الرفيع، بل أوتي أعلاه وأكمله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم ينزه عن الفهم للشعر وتقويمه.

تقويم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للشعر: وذلك لما سمع ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلا يمدح بني عبد الدار و يقلب بيتا قديما قيل في جده عبد مناف، فلم يمرَّ ذلك على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث قال الشاعر:

فالمُحُّ خَالِصُهُ لِعَبْدِ الدَّارِ

فالتفت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وكان نسابة العرب ومن أعرف الناس بالشعر، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ أهكذا قال الشاعر؟!، فقال أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ :

كلا، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، بل قال: فالمُحُّ خَالِصُهُ لِعَبْدِ مَنَافِ(5)

بل وقد كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعرف نقد الشعر، من غير أن تكون له ملكة قوله وارتجاله، والأدلة على ذلك كثيرة، منها ما جاء من إصلاحه لقول كعب بن زهير بن أبي سلمى حين امتدح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله:

إنّ الرّسولَ لَنُورٌ يُسْتضَاءُ بهِ مُهَنَّدٌ من سيوفِ الهِنْدِ مَسْلُولُ

فأصلح له الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله هذا وطلب منه أن يبدلها بقوله:

مُهَنَّدٌ مِنْ سُيوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ

- **تلفظ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ببعض الكلام الموزون، ولا يناقض هذا عدم تعليم الله له الشعر: (وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ)(6):**

فكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجري على لسانه بعض ما هو مُتَّزنٌ من الكلام، وبالأخص في الرجز الذي يناسب الحرب والشجاعة، كقوله حين انكشف جيش المسلمين في غزوة حُنينٍ:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ ... أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ(7)

وعَنِ جُندبٍ قال: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ إِلَى الصَّلَاةِ فَعَثَرَتْ إِصْبَعُهُ فَدَمِيَتْ، فَقَالَ:

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ... وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ(8)

بعض ما جاء القرآن مما هو مُتَّزنٌ كقوله ـ تعالى ـ : (تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ سَيَصْلى نَارًا ذاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ)(9) أيضا قوله ـ تعالى بقراءة نافع(10) ، وضمه لميم الجمع: **(فَلا تُمارِ فِيهِمْ إِلاّ مِراءً ظاهِراً)** (11) **(لَنا أَعْمالُنا وَلَكُمْ أَعْمالُكُمْ)**(12) ، وقال الشيخ محمد سالم الشنقيطي وهو خال الشيخ الدكتور محمد الحسن ولد الددو العالم الكبير والفقيه المعاصر المعروف حفظه الله ورعاه:

يَا مَعْشَرَ الجِنِّ انْفِرُوا مِنْ أَرْضِنَا ... وَلْتَكْفِكُمْ مِّنَ الْفَلاَرِ مَالُكُمْ
فَإِنَّمَا لَنَا أَرَاضُنَا وَمَالُنَا ... وَلَكُمُ أَرَاضُكُمْ وَمَالُكُمْ
اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ...(لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمُ أَعْمَالُكُمْ)

أيضا قول الله ـ تعالى ـ : **(لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً)** (13) ، وقد أنكر على الإمام السيوطي ـ رحمه الله ـ بعض منافسيه وخصومه إملاء الحديث، لعدم جرأتهم على ذلك فرد عليهم السيوطي قائلًا:

عَابَ إِمْلاَئِيَ الْحَدِيثَ رِجَالٌ قَدْ سَعَوْاْ فِي الضَّلاَلِ سَعْياً حَثِيثاً (14)
إِنَّمَا يُنْكِرُ الأَمَالِيَ قَوْمٌ (لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً)

تقدير النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لرجل أثنى على الله ـ عزوجل ـ بما هو أهله ومكافأته عليه:

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يُقدِّر الشعر والأدب والكلام الفصيح، فعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَرَّ بِأَعْرَابِيٍّ، وَهُوَ يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا مَنْ لَا تَرَاهُ الْعُيُونُ، وَلَا تُخَالِطُهُ الظُّنُونُ، وَلَا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ، وَلَا تُغَيِّرُهُ الْحَوَادِثُ، وَلَا يَخْشَى الدَّوَائِرَ، يَعْلَمُ مَثَاقِيلَ الْجِبَالِ، وَمَكَايِيلَ الْبِحَارِ، وَعَدَدَ قَطْرِ الْأَمْطَارِ، وَعَدَدَ وَرَقِ الْأَشْجَارِ، وَعَدَدَ مَا أَظْلَمَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ، وَأَشْرَقَ عَلَيْهِ النَّهَارُ، وَمَا تَوَارَى مِنْ سَمَاءٍ سَمَاءً، وَلَا أَرْضٍ أَرْضًا، وَلَا بَحْرٍ مَا فِي قَعْرِهِ، وَلَا جَبَلٍ مَا فِي وَعْرِهِ، اجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهُ، وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِيمَهُ، وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاكَ فِيهِ. فَوَكَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بِالْأَعْرَابِيِّ رَجُلًا فَقَالَ: (إِذَا صَلَّى فَائْتِنِي بِهِ) فَلَمَّا صَلَّى أَتَاهُ وَقَدْ كَانَ أُهْدِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذَهَبٌ مِنْ بَعْضِ الْمَعَادِنِ، فَلَمَّا أَتَاهُ الْأَعْرَابِيُّ وَهَبَ لَهُ الذَّهَبَ وَقَالَ: (مِمَّنْ أَنْتَ يَا أَعْرَابِيُّ؟) قَالَ: مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (هَلْ تَدْرِي لِمَ وَهَبْتُ لَكَ الذَّهَبَ؟) قَالَ: لِلرَّحِمِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (إِنَّ لِلرَّحِمِ حَقًّا، وَلَكِنْ وُهِبْتُ لَكَ الذَّهَبَ بِحُسْنِ ثَنَائِكَ عَلَى اللَّهِ ـ عز وجل)(15) أعجبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الثناء فكافأ عليه(16)

تأثير الأدب على اتخاذ القرارات السياسية وعصمته للدماء والأموال:

فقد أخرج الحاكم في المستدرك (17) ، والبيهقي في دلائل النبوة (18) ، ما جاء من قصة إسلام كعب بن زهير ـ رضي الله عنه ـ وقوله أمام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قصيدته التي عرفت بعد ذلك بالبردة، (بانت سعاد) حيث خَرَجَ كَعْبٌ وَبُجَيْرٌ ابْنَا زُهَيْرٍ، حَتَّى أَتَيَا أَبْرَقَ الْعَرَّافَ، فَقَالَ بُجَيْرٌ لِكَعْبٍ: اثْبُتْ فِي هَذَا الْمَكَانِ حَتَّى آتِيَ هَذَا الرَّجُلَ ـ يَعْنِي رَسُولَ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَأَسْمَعَ مَا يَقُولُ، فَثَبَتَ كَعْبٌ وَخَرَجَ بُجَيْرٌ، فَجَاءَ رَسُولَ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ كَعْبًا، فقال:

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً عَلَى أَيِّ شَيْءٍ غير ذلك دلّكا
عَلَى خُلُقٍ لَمْ أُلْفِ أُمًّا وَلَا أَبًا عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخًا لَكَا

سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بكأس روية وأنهلك الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا

فَلَمَّا بَلَغَ الْأَبْيَاتُ رَسُولَ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَهْدَرَ دَمَهُ، فَأَسْلَمَ كَعْبٌ وَقَالَ الْقَصِيدَةَ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَالَ كَعْبٌ: فَأَنَخْتُ رَاحِلَتِي بِبَابِ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَعَرَفْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بِالصِّفَةِ، فَتَخَطَّيْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَأَسْلَمْتُ، فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ الله، الْأَمَانَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «وَمَنْ أَنْتَ؟» قُلْتُ: أَنَا كعب بن زُهَيْرٍ قَالَ: (الَّذِي يَقُولُ): ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: (كَيْفَ يَا أَبَا بَكْرٍ)، فَأَنْشَدَهُ أَبُو بكر:

سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رويّة وأنهلك الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا قُلْتُ هَكَذَا، قَالَ: فَكَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: إِنَّمَا قُلْتُ:

سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رويّة وأنهلك الْمَأْمُورُ مِنْهَا وَعَلَّكَا

ثم أنشأ ينشد:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ عِنْدَهَا لَمْ يغد مَعْلُولُ

فَذَكَرَ أَبْيَاتًا، ثُمَّ قَالَ:

يَسْعَى الْوُشَاةُ بِجَنْبَيْهَا وَقَوْلُهُمُ أَنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ
فقلت خَلُّوا سبيلي لَا أَبَا فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ
مَهْلًا هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْقرآنِ فيها مواعيظ وتفصيل
لَا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ فَلَمْ أُذنب وإن كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلُ
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

فقبل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك منه، وخلع عليه بردته، رضا بما قال، فصارت سنة في الخلفاء والملوك بعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخلعون بردهم ورداءهم على الشعراء بما يعجبهم من كلامهم، يقولون: خلع عليه الملك حلة سنية. ومن ذلك شِعْرُ قُتَيْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ كلدة بن عبد الدار الذي عاتبت به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أمر عليا بقتل أخيها النضر بن الحارث صبرا؛ لكثرة ما كان يؤذي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويصد عن دين الإسلام في كل مجلس جلس فيه النبي ـ

صلى الله عليه وسلم ـ قَالَ ابْـنُ إِسْـحَاقَ: وَقَالَـتْ قُتَيْلَـةُ بِنْـتُ الْحَـارِثِ، أُخْـتُ النَّضْـرِ بْـنِ الْحَارِثِ، وقيل: هي ابنته، تَبْكِيهِ:

يَا رَاكِبًا إِنَّ الْأُثَيِلَ مَظِنَّةٌ ... مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ
أَبْلِغْ بِهَا مَيْتًا بِأَنَّ تَحِيَّةً ... مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا النَّجَائِبُ تَخْفِقُ
مِنِّي إِلَيْكَ وَعَبْرَةً مَسْفُوحَةً ... جَادَتْ بِوَاكِفِهَا وَأُخْرَى تَخْنُقُ
هَلْ يَسْمَعَنِّي النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ ... أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لَا يَنْطِقُ
ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ ... لله أَرْحَامٌ هُنَاكَ تُشَقَّقُ
صَبْرًا يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتْعَبًا ... رَسْفَ الْمُقَيَّدِ وَهُوَ عَانٍ مُوثَقُ
أَمُحَمَّدُ يَا خَيْرَ ضَنْءٍ كَرِيمَةٍ ... فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرَّقُ
مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا ... مَنَّ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُحْنَقُ
أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلْنَأْتِيَنْ ... بِأَعَزَّ مَا يَغْلُو لَدَيْكَ وَيَنْفُقُ
فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسَرَّتْ قَرَابَةً ... وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فَيُقَالُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ لَمَّا بَلَغَهُ هَذَا الشِّعْرُ، قَالَ: لَوْ بَلَغَنِي هَذَا قَبْلَ قَتْلِهِ لَمَنَنْتُ عَلَيْهِ(19)

إعجابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالفصيح البليغ من الكلام وتشجيعه عليه: فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ: جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ وَالزِّبْرِقَانُ بْنُ بَدْرٍ، وَعَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ التَّمِيمِيُّونَ فَفَخَرَ الزِّبْرِقَانُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا سَيِّدُ تَمِيمٍ، وَالْمُطَاعُ فِيهِمْ، وَالْمُجَابُ فِيهِمْ، أَمْنَعُهُمْ مِنَ الظُّلْمِ فَآخُذُ لَهُمْ بِحُقُوقِهِمْ، وَهَذَا يَعْلَمُ ذَاكَ يَعْنِي عَمْرَو بْنَ الْأَهْتَمِ، فَقَالَ: عَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَشَدِيدُ الْعَارِضَةِ، مَانِعٌ لِجَانِبِهِ، مُطَاعٌ فِي نَادِيهِ، قَالَ الزِّبْرِقَانُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ عَلِمَ مِنِّي غَيْرَ مَا قَالَ، وَمَا مَنَعَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ إِلَّا الْحَسَدُ، قَالَ عَمْرٌو: أَنَا أَحْسُدُكَ؟! فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَئِيمُ الْخَالِ، حَدِيثُ الْمَالِ، أَحْمَقُ الْمَوَالِدِ، مُضَيِّعٌ فِي الْعَشِيرَةِ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ صَدَقْتَ فِيمَا قُلْتَ أَوَّلًا، وَمَا كَذَبْتَ فِيمَا قُلْتَ آخِرًا، لَكِنِّي رَجُلٌ رَضِيتُ فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ، وَغَضِبْتُ فَقُلْتُ أَقْبَحَ مَا وَجَدْتُ، وَوَاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْأَمْرِيْنِ جَمِيعًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا)(20)

إقراره وقبوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأدب والشعر الذي يسمو بالنفس إلى الفضائل، ويدعو إلى ترك الرذائل: عن عمر بْنِ الشَّرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَدِفْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَوْمًا فَقَالَ (هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصلت شيئاً؟ " قُلْتُ: نَعَمْ،

قَالَ "هِيهْ" فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ "هِيهْ" ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ "هِيهْ" حَتَّى أنشدته مائة بيت، وعَنْ عَمْرو بْنِ الشَّرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ أيضا قال:ـ وَزَادَ: قَالَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إِنْ كَادَ لَيُسْلِمُ)، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: (فَلَقَدْ كَادَ يُسْلِمُ فِي شِعْرِهِ)(21)

المبحث الثانـــي ـ الأدب على عهد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والتـابعين ـ رحمهم الله ـ ومن جاء بعدهم:

مدح العباس ـ رضي الله عنه ـ للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ منصرفه من تبوك وفرح النبي بذلك: عن خُرَيْمَ بْنَ أَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ لَامٍ ـ رضي الله عنه ـ يَقُولُ: هَاجَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ مُنْصَرَفَهُ مِنْ تَبُوكَ، فَأَسْلَمْتُ فَسَمِعْتُ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْتَدِحَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (قُلْ، لَا يَفْضُضِ اللَّهُ فَاكَ)(22) قَالَ: فَقَالَ الْعَبَّاسُ:

مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فِي الظِّلَالِ وَفِي ... مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يَخْصِفُ الْوَرِقُ
ثُمَّ هَبَطْتَ الْبِلَادُ لَا بَشَرٌ ... أَنْتَ وَلَا مُضْغَةٌ وَلَا عَلَقُ
بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ ... أَلْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْغَرَقُ
تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ ... إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ
حَتَّى احْتَوَى بَيْتُكَ الْمُهَيْمِنُ مِنْ ... خِنْدِفَ عَلْيَاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ
وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ ... وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأُفُقُ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي ... النُّورِ وَسُبُلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ

أبـوبكر ـ رضـي الله عنـه ـ يجيـب بالشـعر مشـركي قـريش حينمـا اتهمـوا المسـلمين باستحلال الشهر الحـرام: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ(23): فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ـ رضـي الله عنـه ـ فِي غَزْوَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ، حِينَ قَالَتْ قُرَيْشٌ: قَدْ أَحَلَّ مُحَمَّدٌ وأصـحابهُ الشـهرَ الْحَـرَامَ وَسَفَكُوا فِيهِ الدَم وَأَخَذُوا فِيهِ المالَ، وَأَسَرُوا فِيهِ الرجالَ:

تَعُدُّونَ قَتْلًا فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً ... وأعظمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرشدَ راشدُ
صدودُكم عَمَّا يَقُولُ محمدٌ ... وكُفْرٌ بِهِ وَاللَّهُ راءٍ وشاهدُ
وإخراجُكم مِنْ مسجدِ اللَّهِ أهلَه ... لِئَلَّا يُرى للهِ فِي البيتِ ساجدُ
فَإِنَّا وَإِنْ عَيَّرتمونا بِقَتْلِهِ ... وَأَرْجَفَ بِالإِسلامِ باغٍ وحاسدُ
سَقَينا مِنْ ابنِ الحَضرَمي رماحَنا ... بِنَخْلَةَ لَمَّا أوقَدَ الحربَ واقدُ
دَمًا وابنُ عَبْدِ اللَّهِ عُثْمَانُ بَيْنَنَا ... يُنازعه غُلٌّ مِنْ القِدِّ عانِدُ

عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنـه ـ وحبـه لـلأدب والشـعر ونقـده لـه وتأديبـه لشـعراء هجوا أقواما وأفرادا ذووا شرف ومكانة: كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على جلالته في العلم، وتقدمه في النقد يقدم زهير ابن أبي سلمى على سائر الفحول من طبقته؛ قال ليلة لعبد الله بن العباس ـ رضي الله عنهما ـ وهم سائرون إلى الشام: أنشدني شعر أشعر القوم، فقال: ومن ذاك؟ قال: زهير، قال: وبم استحق عندك ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيته لا يُعاضل بين الكلام، ولا يتبع حوشي الألفاظ، ولا يمدح الرجال إلا بما يكون للرجال، وما ذاك إلا لتنقيحه شعره، وترداد نظره في كلامه.

عمر بن الخطاب يعاقب الشاعر الحطيئة ويلقيه في قعر بئر لهجوه الزبرقان بن بدر ثم يخرجه بعد أن أخذ بِلُبِّهِ واستعطفه بأبيات من الشعر: جاء في طبقات فحول الشعراء(24) خرج الحطيئة مَعَ ابْنَته مليكَة وَامْرَأَته أُمَامَة على ذود لَهُ ثَلَاث فَنزل منزلا وسرح ذوده، فَلَمَّا قَامَ للرواح فقد إِحْدَاهُنَّ فَقَالَ:

أذئب القفر أم ذِئْب أنيس أصَاب الْبكر أم حدث اللَّيَالِي
وَنحن ثَلَاثَة وَثَلَاث ذود لقد جَار الزَّمَان على عيالي

وَكَانَ سَبَب هجائه الزبْرِقَان أَنه صادفه بِالْمَدِينَةِ وَكَانَ قدمهَا على عمر رضى الله عَنهُ فَقَالَ الحطيئة وددت أَنى أصبت رجلا يحملني وأصفيه مديحي وأقتصر عَلَيْهِ، قَالَ الزبْرِقَان: قد أصبته، تقدم على أهلي فإني على إثرك، فَقدم فَنزل بحراه، وَأرْسل الزبْرِقَان إِلَى امْرَأَته أَن أكرمي مثواه، وَكَانَت ابْنَته مُليكَة جميلَة فَكرِهت امْرَأَته مَكَانهَا فظهرت لَهُم مِنْهَا جفوة، وبغيض بن عَامر بن لأي بن شماس أحد بني قريع بن عَوْف يُنَازع يَوْمئِذٍ الزبْرِقَان الشّرف، والزبرقان أحد بني بَهْدَلَة بن عَوْف وبغيض أرسخ في الشّرف من الزبْرِقَان، وَقد ناوأه الزبْرِقَان بِبدنِهِ حَتَّى ساواه، بل اعتلاه، فاغتنم بغيض وأخواه عَلْقَمَة وهوذة مَا فِيهِ الحطيئة من الجفوة فدعواه إِلَى مَا عِنْدهمَا فأسرع فبنوا عَلَيْهِ قبَّة ونحروا لَهُ وأكرموه كل الْإِكْرَام وشدوا بِكُل طُنب من أطناب خبائه جلة من برنى هجر قَالَ والمخبل شَاعِر مفلق وَهُوَ ابْن عمهم يلقاهم إِلَى أنف النَّاقة وَهُوَ جَعْفَر بن قريع قَالَ وَقدم الزبْرِقَان أسيفا عاتبا على امْرَأَته فمدح بنى قريع وذم الزبْرِقَان فاستعدى عَلَيْهِ الزبْرِقَان عمر فأقدمه عمر وَقَالَ للزبرقان مَا قَالَ لَك فَقَالَ قَالَ لي:

دع المكارم لَا ترحل لبغيتها واقعد فَإِنَّك أَنْت الطاعم الكاسي

فَقَالَ عمر لحسان مَا تَقول؟ أهجاه؟! وَعمر يعلم من ذَلِك مَا يعلم حسان وَلكنه أَرَادَ الْحجَّة على الحطيئة، قَالَ: ذرق عَلَيْهِ.

وجاء في تاريخ المدينة (25) أن عمر ـ رضي الله عنه ـ لما قال له الزبرقان هذا البيت قَالَ: مَا أَسْمَعُ هِجَاءً، وَلَكِنَّهَا مُعَاتَبَةٌ جَمِيلَةٌ، فَقَالَ الزِّبْرِقَانُ: وَمَا تَبْلُغُ مُرُوءَتِي إِلَّا أَنْ آكُلَ وَأَلْبَسَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا هُجِيتُ بِبَيْتٍ قَطُّ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْهُ، سَلِ ابْنَ الْفُرَيْعَةِ يَعْنِي حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ فَقَالَ عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ عَلَيَّ بِحَسَّانَ، فَجِيءَ بِهِ فَسَأَلَهُ عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ فَقَالَ: لَمْ يَهْجُهُ وَلَكِنْ سَلَحَ عَلَيْهِ، وَيُقَالُ وَلَيْسَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ: إِنَّهُ سَأَلَ لَبِيدَ بْنَ رَبِيعَةَ: أَهَجَاهُ أَمْ لَا؟ فَقَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّهُ لَحِقَنِي مَا لَحِقَهُ مِنْ هَذَا الشِّعْرِ، وَأَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ، رَجْعٌ إِلَى الْإِسْنَادِ الْأَوَّلِ، قَالَ: فَأَمَرَ بِهِ عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ فَجُعِلَ فِي نَقِيرٍ فِي بِئْرٍ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِ حَفْصَةً، فَقَالَ الْحُطَيْئَةُ:

مَاذَا تَقول لأفراخ بذي مرخ حمر الحواصل لَا مَاء وَلَا شجر
ألقيت كاسبهم في قَعْر مظْلمَة فَاغْفِر عَلَيْك سَلام الله يَا عمر
أَنْت الإِمَام الذى من بعد صَاحبه أَلْقى إِلَيْك مقاليد النهى الْبشر
مَا آثروك بهَا إِذْ بايعوك لَهَا لَكِن لأَنْفُسِهِمْ كَانَت بك الإثر

قَالَ: فَأَخْرَجَهُ، وَقَالَ: إِيَّاكَ وَهِجَاءَ النَّاسِ، قَالَ: إِذَنْ تَمُوتَ عِيَالِي جُوعًا، هَذَا كَسْبِي وَمِنْهُ مَعَاشِي، قَالَ: فَإِيَّاكَ وَالْمُقْذِعَ مِنَ الْقَوْلِ، قَالَ: وَمَا الْمُقْذِعُ؟ قَالَ: أَنْ تُخَابِرَ بَيْنَ النَّاسِ، فَتَقُولَ: فُلَانٌ خَيْرٌ مِنْ فُلَانٍ، وَآلُ فُلَانٍ خَيْرٌ مِنْ آلِ فُلَانٍ، قَالَ: أَنْتَ وَاللَّهِ أَهْجَى مِنِّي، قَالَ: وَيُقَالُ إِنَّ عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَكُونَ سُنَّةً لَقَطَعْتُ لِسَانَكَ، وَلَكِنِ اذْهَبْ فَأَنْتَ لَهُ، خُذْهُ يَا زِبْرِقَانُ، فَأَلْقَى الزِّبْرِقَانُ فِي عُنُقِهِ عِمَامَتَهُ فَاقْتَادَهُ بِهَا، وَعَارَضَتْهُ غَطَفَانُ، فَقَالُوا: أَبَا شَذْرَةَ إِخْوَتُكَ وَبَنُوا عَمِّكَ هَبْهُ لَنَا فَوَهَبَهُ لَهُمْ.

بلال بن رباح ـ رضي الله عنه ـ يسلب ألباب حي من الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ يخطب هو وأخوه ابنتيهما بفصاحته: وذلك أنه ذهب ـ رضي الله عنه ـ وأخوه إلى حي من الأنصار يخطبان إليهما، وكان بلال ـ رضي الله عنه ـ فصيحا بليغا، أخذ بعض فصاحته وبلاغته من أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال: إِنَّا قَدْ أَتَيْنَاكُم خَاطِبِيْنَ، وَقَدْ كُنَّا

كَافِرِيْنَ فَهَدَانَا اللهُ، وَمَمْلُوْكِيْنَ فَأَعْتَقَنَا اللهُ، وَفَقِيْرِيْنَ فَأَغْنَانَا اللهُ، فَإِنْ تُزَوِّجُوْنَا فلكم الشكر والحَمْدُ للهِ، وَإِن تَرُدُّوْنَا فلكم العذر وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاّ بِاللهِ، فَزَوَّجُوْهُمَا(26)

مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس ـ رضي الله عنه ـ عن غَرِيبِ الْقُرْآنِ وَمُشْكِلِهِ:

ومن ذلكم ما جاء في كتاب الإتقان في علوم القرآن(27)، قَدْ جَاءَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ - كَثِيرًا - الِاحْتِجَاجُ عَلَى غَرِيبِ الْقُرْآنِ وَمُشْكِلِهِ بِالشِّعْرِ وَأَنْكَرَ جَمَاعَةٌ - لَا عِلْمَ لَهُمْ - عَلَى النَّحْوِيِّينَ ذَلِكَ وَقَالُوا: إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ جَعَلْتُمِ الشِّعْرَ أَصْلًا لِلْقُرْآنِ وَقَالُوا: وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُحْتَجَّ بِالشِّعْرِ عَلَى الْقُرْآنِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ!.

قَالَ: وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوهُ مِنْ أَنَّا جَعَلْنَا الشِّعْرَ أَصْلًا لِلْقُرْآنِ بَلْ أَرَدْنَا تَبْيِينَ الْحَرْفِ الْغَرِيبِ مِنَ الْقُرْآنِ بِالشِّعْرِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: **(إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً)**(28) ، وقال: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)(29) ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الشِّعْرُ دِيوَانُ الْعَرَبِ فَإِذَا خَفِيَ عَلَيْنَا الْحَرْفُ مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ بِلُغَةِ الْعَرَبِ رَجَعْنَا إِلَى دِيوَانِهَا فَالْتَمَسْنَا مَعْرِفَةَ ذَلِكَ مِنْهُ، ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِذَا سَأَلْتُمُونِي عَنْ غَرِيبِ الْقُرْآنِ فَالْتَمِسُوهُ فِي الشِّعْرِ فَإِنَّ الشِّعْرَ دِيوَانُ الْعَرَبِ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي فَضَائِلِهِ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يُسْأَلُ عَنِ الْقُرْآنِ فَيُنْشِدُ فِيهِ الشِّعْرَ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: يَعْنِي كَانَ يَسْتَشْهِدُ بِهِ عَلَى التَّفْسِيرِ. قُلْتُ: قَدْ رُوِّينَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ وَأَوْعَبُ مَا رُوِّينَاهُ عَنْهُ مَسَائِلُ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ وَقَدْ أَخْرَجَ بَعْضَهَا ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي كِتَابِ الْوَقْفِ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَسُوقَهَا هُنَا بِتَمَامِهَا لِتُسْتَفَادَ منها:

عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ جَالِسٌ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ قَدِ اكْتَنَفَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ فَقَالَ: نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ لِنَجْدَةَ بْنِ عُوَيْمِرٍ: قُمْ بِنَا إِلَى هَذَا الَّذِي يَجْتَرِئُ عَلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ: فَقَامَا إِلَيْهِ فَقَالَا: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَسْأَلَكَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَتُفَسِّرَهَا لَنَا وَتَأْتِيَنَا بِمُصَادَقَةٍ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَلَانِي عَمَّا بَدَا لَكُمَا فَقَالَ نَافِعٌ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: **(عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ)**(30) ، قال العزون: الحلق الرقاق، قَالَ: وَهَلْ تَعْرِفُ الْعَرَبُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ أَمَا سَمِعْتَ عُبَيْدَ بْنَ الْأَبْرَصِ وَهُوَ يَقُولُ:

فجاؤا يهرعون إليه حتى يَكُونُوا حَوْلَ مِنْبَرِهِ عِزِينَا

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ: **(وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)**(31) قَالَ: الْوَسِيلَةُ الْحَاجَةُ، قَالَ: وَهَلْ تَعْرِفُ الْعَرَبُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ أَمَا سَمِعْتَ عَنْتَرَةَ وَهُوَ يَقُولُ:

إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكِ وَسِيلَةٌ إِنْ يَأْخُذُوكِ تَكَحَّلِي وَتَخَضَّبِي

قَـالَ: أَخْبِرْنِـي عَـنْ قَوْلِـهِ: (شِـرْعَةً وَمِنْهَاجـاً)(32) ، قَـالَ: الشِّـرْعَةُ: الـدِّينُ، وَالْمِنْهَـاجُ: الطَّرِيقُ، قَالَ: وَهَلْ تَعْرِفُ الْعَرَبُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَمَا سَمِعْتَ أَبَا سفيان ابن الْحَـارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ يَقُولُ:

لَقَدْ نَطَقَ الْمَأْمُونُ بِالصِّدْقِ والهدى وبين للإسلام دين ومنهاجا

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِـهِ: (إِذَا أَثْمَـرَ وَيَنْعِـهِ)(33) ، قَـالَ: نُضْـجِهِ وَبَلَاغِـهِ قَـالَ: وَهَلْ تَعْرِفُ الْعَرَبُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

إِذَا مَا مَشَتْ وَسْطَ النِّسَاءِ تَأَوَّدَتْ كَمَا اهْتَزَّ غُصْنٌ نَـاعِمُ النَّبْتِ يَانِعُ

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ تعالى: (وريشا)(34) ، قَالَ: الرِّيشُ الْمَالُ قَـالَ: وَهَـلْ تَعْـرِفُ الْعَرَبُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَمَا سَمِعْتَ الشَّاعِرَ يَقُولُ:

فَرِشْنِي بخير طالما ما قَدْ بَرَيْتَنِي وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي

قَالَ أَخْبِرْنِي: عَنْ قَوْلِـهِ – تَعَـالَى- : (**لَقَـدْ خَلَقْنَـا الْإِنْسَـانَ فِـي كَبَـدٍ**)(35) ، قَـالَ: فِـي اعْتِدَالٍ وَاسْتِقَامَةٍ، قَالَ: وَهَلْ تَعْرِفُ الْعَرَبُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَمَا سَمِعْتَ لَبِيدَ بْنَ بيعة وَهُـوَ يَقُولُ:

يَا **عَيْنُ هَلَّا بَكَيْتِ أَرْبَدَ إِذْ قُمْنَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَبَد**

عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ والشعراء: كان الشعراء في عهد الخلفاء من بني أمية يمدحونهم وينالون عطاءهم ونوالهم، وكان الخلفاء يغرفون لهم غرفا ويكيلون لهم كيلا؛ لأنهم يعلمون خطرهم ونفاذ كلامهم في الناس، ولكن عمر بن عبد العزيـز والشـعراء لا يخاف أحدا ولا يخشى إلا الله، ولا يعطي لأحد إلا ما يستحقه من بيت المال، وَقَـدْ كَشَـفَ الْخَلِيفَةُ حَقِيقَةَ أَحْوَالِ الشُّعَرَاءِ، وَكَشَفَ سَرَائِرَهُمْ، وَانْتَحَى مَعَايِبَهُمْ فِي أَشْـعَارِهِمْ، فَـرُوِيَ

أَنَّهُ لَمَّا أُسْتُخْلِفَ ـ رحمه الله ـ وَفَدَتْ إِلَيْهِ الشُّعَرَاءُ، كَمَا كَانَتْ تَفِدُ إِلَى الْخُلَفَاءِ قَبْلَهُ، فَأَقَامُوا بِبَابِهِ أَيَّامًا لَا يَأْذَنُ لَهُمْ بِالدُّخُولِ، حَتَّى قَدِمَ عُدَيُّ بْنُ أَرْطَاةَ، وقيل: عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَكَانَتْ لَهُ مَكَانَةٌ فَتَعَرَّضَ لَهُ جَرِيرٌ، فَقَالَ:

يَأَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ هَذَا زَمَانُك إِنِّي قَدْ خَلَا زَمَنِي
أَبْلِغْ خَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْت لَاقِيَهُ أَنِّي لَدَى الْبَابِ كَالْمَصْفُودِ فِي قَرَنِ
وَحْشُ الْمَكَانَةِ مِنْ أَهْلِي وَمِنْ وَلَدِي نَائِي الْمَحَلَّةِ عَنْ دَارِي وَعَنْ وَطَنِي

فَقَالَ: نَعَمْ، أَبَا حَزْرَةَ وَنُعْمَى عَيْنٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى عُمَرَ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِنَّ الشُّعَرَاءَ بِبَابِك، وَأَقْوَالُهُمْ بَاقِيَةٌ، وَسِهَامُهُمْ مَسْمُومَةٌ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا لِي وَلِلشُّعَرَاءِ، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَدْ مُدِحَ وَأَعْطَى، وَفِيهِ أُسْوَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، قَالَ: وَمَنْ مَدَحَهُ؟ قَالَ: عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ فَكَسَاهُ حُلَّةً قَطَعَ بِهَا لِسَانَهُ، قَالَ: نَعَمْ، فَأَنْشَدَهُ:

رَأَيْتُك يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا نَشَرْت كِتَابًا جَاءَ بِالْحَقِّ مُعْلِمَا
سَنَنْت لَنَا فِيهِ الْهُدَى بَعْدَ جَوْرِنَا عَنْ الْحَقِّ لَمَّا أَصْبَحَ الْحَقُّ مُظْلِمَا
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي النَّبِيَّ مُحَمَّدًا وَكُلُّ امْرِئٍ يُجْزَى بِمَا قَدْ تَكَلَّمَا
تَعَالَى عُلُوًّا فَوْقَ عَرْشِ إِلَهِنَا وَكَانَ مَكَانُ اللَّهِ أَعْلَى وَأَعْظَمَا

قَالَ: صَدَقْت، فَمَنْ بِالْبَابِ مِنْهُمْ؟ قَالَ: ابْنُ عَمِّك عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ الْقُرَشِيُّ، قَالَ: لَا قَرَّبَ اللَّهُ قَرَابَتَهُ، وَلَا حَيَّا وَجْهَهُ، أَلَيْسَ هُوَ الْقَائِلُ:

أَلَا لَيْتَ أَنِّي يَوْمَ بَانُوا بِمَيْتَتِي شَمَمْت الَّذِي مَا بَيْنَ عَيْنَيْك وَالْفَمِ
وَلَيْتَ طُهُورِي كَانَ رِيقَك كُلَّهُ وَلَيْتَ حَنُوطِي مِنْ مُشَاشِك وَالدَّمِ
وَيَا لَيْتَ سَلْمَى فِي الْقُبُورِ ضَجِيعَتِي هُنَالِكَ أَوْ فِي جَنَّةٍ أَوْ جَهَنَّمِ

فَلَيْتَ عَدُوَّ اللَّهِ تَمَنَّى لِقَاءَهَا فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا؛ وَاَللَّهِ لَا دَخَلَ عَلَيَّ أَبَدًا، فَمَنْ بِالْبَابِ غَيْرُ مَنْ ذَكَرْت؟ قَالَ: جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ الْعُذْرِيُّ. قَالَ: هُوَ الَّذِي يَقُولُ:

أَلَا لَيْتَنَا نَحْيَا جَمِيعًا وَإِنْ نَمُتْ يُوَافِي لَدَى الْمَوْتَى ضَرِيحِي ضَرِيحُهَا
فَمَا أَنَا فِي طُولِ الْحَيَاةِ بِرَاغِبٍ إِذَا قِيلَ قَدْ سَوّي عَلَيْهَا صَفِيحُهَا
أَظَلُّ نَهَارِي لَا أَرَاهَا وَيَلْتَقِي مَعَ اللَّيْلِ رُوحِي فِي الْمَنَامِ وَرُوحُهَا

أُعْزُبْ بِهِ، فَلَا يَدْخُلُ عَلَيَّ أَبَدًا، فَمَنْ غَيْرُ مَنْ ذَكَرْت؟ قَالَ: كُثَيِّرُ عَزَّةَ، قَالَ: هُوَ الَّذِي يَقُولُ:

رُهْبَانُ مَدْيَنَ وَالَّذِينَ عَهِدْتهمْ يَبْكُونَ مِنْ حَذَرِ الْعَذَابِ قُعُودَا
لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْت كَلَامَهَا خَرُّوا لِعَزَّةِ رُكَّعًا وَسُجُودَا

أُعْزُبْ بِهِ. فَمَنْ بِالْبَابِ غَيْرُ مَنْ ذَكَرْت؟ قَالَ: الْأَحْوَصُ الْأَنْصَارِيُّ. قَالَ: أَبْعَدَهُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُ، أَلَيْسَ هُوَ الْقَائِلَ وَقَدْ أَفْسَدَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ جَارِيَةً لَهُ حَتَّى هَرَبَتْ مِنْهُ قَالَ:

اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ سَيِّدِهَا يَفِرُّ مِنِّي بِهَا وَأَتَّبِعُ

أُعْزُبْ بِهِ. فَمَنْ بِالْبَابِ غَيْرُ مَنْ ذَكَرْت؟ قَالَ: هَمَّامُ بْنُ غَالِبٍ الْفَرَزْدَقُ. قَالَ: أَلَيْسَ هُوَ الْقَائِلَ يَفْخَرُ بِالزِّنَا:

هُمَا دَلَّيَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً كَمَا انْقَضَّ بَازٍ أَقْتَمُ الرِّيشِ كَاسِرُهْ
فَلَمَّا اسْتَوَتْ رِجْلَايَ فِي الْأَرْضِ قَالَتَا أَحَيٌّ يُرَجَّى أَمْ قَتِيلٌ نُحَاذِرُهْ
فَقُلْت ارْفَعُوا الْأَمْرَاسَ لَا يَشْعُرُوا بِنَا وَوَلَّيْت فِي أَعْقَابِ لَيْلٍ أُبَادِرُهْ

أُعْزُبْ بِهِ، فَوَاللَّهِ لَا يَدْخُلُ عَلَيَّ أَبَدًا، فَمَنْ بِالْبَابِ غَيْرُ مَنْ ذَكَرْت؟ قُلْت: الْأَخْطَلُ التَّغْلِبِيُّ، قَالَ: هُوَ الْقَائِلُ:

فَلَسْت بِصَائِمٍ رَمَضَانَ عُمْرِي وَلَسْت بِآكِلٍ لَحْمَ الْأَضَاحِيّ
وَلَسْت بِزَاجِرٍ عِيسًا رَكُوبًا إِلَى بَطْحَاءِ مَكَّةَ لِلنَّجَاحِ
وَلَسْت بِقَائِمٍ كَالْعِيرِ يَدْعُو قُبَيْلَ الصُّبْحِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ
وَلَكِنِّي سَأَشْرَبُهَا شَمُولًا وَأَسْجُدُ عِنْدَ مُنْبَلَجِ الصَّبَاحِ

أُعْزُبْ بِهِ، فَوَاللَّهِ لَا وَطِئَ بِسَاطِي، فَمَنْ بِالْبَابِ غَيْرُ مَنْ ذَكَرْت؟ قُلْت: جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةَ الْخَطَفِيُّ قَالَ: أَلَيْسَ هُوَ الْقَائِلَ:

هل يَنهينَّك أن قتلن مُرقَّشاً أو ما فعلن بعُروة بن حِزَامِ
ذُمَّ المنازلّ بعد منزلة اللِّوى والعيش بعد أولئك الأيام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

فإن كان ولا بد فهذا، فأذن له، فخرجت إليه فقلت: ادخل أبا حزرة، فدخل وهو يقول:

إن الذي بعث النبيَّ محمداً جعل الخلافة في الإمام العادلِ
وَسِعَ الخلائقَ عدلُهُ ووفاؤه حتى ارعوى وأقام مَيْلَ المائلِ
والله أنزل في القرآن فضيلةً لابن السبيل وللفقير العائلِ
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفسُ مولعةٌ بحب العاجلِ

فلما مثل بين يديه قال: اتق الله يا جرير، ولا تقل إلا حقاً، فأنشأ يقول:

إنا لنرجوا إذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجوا من المطر
نال الخلافة إذ كانت له قَدَراً ... كما أتى رَبَّه موسى على قدر
ما زلتُ بعدك في هّمٍ يؤَرِّقُنِي ... قد طال في الحيّ إصعادِي ومنحَدَري
لا ينفع الحاضرُ المجهودُ بادِيَنَا ... ولا يعود لَنا بادٍ على حَضَر
كم باليمامة من شعثَاء أرملةٍ ... ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
يدعوك دعوةَ ملهوف كأنَّ به ... خبْلاً من الجن أو مساً من البشر
ممن يَعُدُّك تكفي فَقْدَ والده ... كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر
خليفةَ الله ماذا تأمرَنَّ بنا ... لسنا إليكم ولا في دار مُنْتَظَر
هذى الأرامل قد قَّضيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر

فقال: يا جرير، والله لقد وليت هذا الأمر وما أملك إلا ثلاثمائة درهم، فمائة أخذها عبد الله، ومائة أخذتها أم عبد الله؛ يا غلام، أعطه المائة الباقية. فقال: يا أمير المؤمنين، إنها لأحب مال كسبته إلى. ثم خرج، فقالوا له: ما وراءك؟ قال: ما يسوؤكم، خرجت من عند أمير المؤمنين، يعطي الفقراء، ويمنع الشعراء وإني عنه لراض، ثم أنشأ يقول:

رأيتُ رُقَي الشيطان لا يستفزُّه وقد كان شيطاني من الجن رَاقيَا

أبو حنيفة النعمان بن ثابت يخرج رجلا يقال إنه كان يهوديا من السجن ويواسيه بأبيات كان يقولها:

كان لأبي حنيفة (36) جار من الكياليين مغرم بالشراب، وكان أبو حنيفة يحيي الليل بالقيام، ويحييه جاره الكيال بالشراب، ويغني على شرابه:

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فأخذه العسس ليلة فوقع في الحبس، وفقد أبو حنيفة صوته واستوحش له؛ فقال لأهله: ما فعل جارنا الكيال؟ قالوا: أخذه العسس فهو في الحبس، فلما اصبح ابو حنيفة وضع الطويلة على رأسه، وخرج حتى أتى باب عيسى بن موسى، فاستأذن عليه، فأسرع في إذنه- وكان أبو حنيفة قليلا ما يأتي الملوك- فأقبل عليه عيسى بوجهه، وقال: أمر ما جاء بك أبا حنيفة! قال: نعم، أصلح الله الأمير، جار لي من الكياليين، أخذه عسس الأمير ليلة كذا، فوقع في حبسك، فأمر عيسى بإطلاق كل من أخذ في تلك الليلة، إكراما لأبي حنيفة؛ فأقبل الكيال على أبي حنيفة متشكرا له، فلما رآه أبو حنيفة قال: أضعناك يا فتى؟ يعرّض له بقصيدته؛ قال: لا والله، ولكنك بررت وحفظت(37)

تصدير الإمام البخاري لكتاب الفتن من كتابه الصحيح الأدب من قبل بعض علماء الحديث للتنبيه على بعض الموضوعات التي تهم الأمة، والتحذير من خطر بعضها:

فقد صدَّرَ الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ باباً من أبواب كتاب الفتن من كتابه الصحيح بأبيات لامرئ القيس حيث قال: بَابُ الْفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ خَلَفِ بْنِ حَوْشَبٍ كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَتَمَثَّلُوا بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ عِنْدَ الْفِتَنِ قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ(38):

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فَتِيَّةً تَسْعَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهُولِ
حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا وَلَّتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ
شَمْطَاءَ يُنْكَرُ لَوْنُهَا وَتَغَيَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ

والشواهد والأمثلة التي تبين جواز تعاطي الأدب الرفيع من الشعر والنثر والخطب، كثيرة جدا، ولكني اقتصرت على ما تقدم خشية السآمة والإملال، وفي هذا القدر سد للحاجة وكفاية، والحمد لله على البداءة والتمام، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، من خلال السير في هذه الورقات يتبين الآتي:

ـ أن الأدب وما يندرج تحته من شعر ونثر وغير ذلك كلام كسائر الكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح.

ـ جواز استعمال الأدب بكل أقسامه إذا كان من النوع الذي تسمو به النفس وترتقي إلى الفضائل، وتنأى به عن الرذائل.

ـ خير دليل على جواز سماع الأدب هو فعل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ ولا معقب لكلامهم.

ـ من أعظم فوائد الأدب حفظ كلام العرب، والاستشهاد به على الفصيح الصحيح من لغة العرب، فهو المرجع بعد كتاب الله وسنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في فهم وتفسير القرآن الكريم، وخير معين على استنباط الأحكام الفقهية والعمل بمقتضاها.

ـ بالأدب تظهر عظمة لغة العرب التي عظمها الله وشرفها بأن أنزل أفضل كتبه بها، وفي ذلك يظهر فضل العرب ممن سبق إلى الإسلام ونصره على كل ما سواهم من سائر الأجناس، فخير الناس خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن هؤلاء سوى أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار، وغالبيتهم من العرب.

بيان تضارب المصالح

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــــــش :

(1) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى: علّامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين. أصله من واسط (في العراق) ومولده بالهند (في بلجرام) ومنشأه في زبيد (باليمن) رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، من كتبه (تاج العروس في شرح القاموس - ط) عشرة مجلدات، و (إتحاف السادة المتقين - ط) في شرح إحياء العلوم للغزالي، عشرة مجلدات، طبعة مصر، و (أسانيد الكتب الستة وتوفي بالطاعون في مصر سنة 1205هـ، انظر: الأعلام، للزركلي، 70/7.

(2) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: (1385 - 1422 هـ) = (1965 - 2001 م)، 12/2.

(3) بشار بن بُرد العُقيلي، بالولاء، أبو معاذ: أشعر المولدين على الإطلاق، أصله من طخارستان (غربيّ نهر جيحون) ونسبته إلى امرأة (عُقيلية) قيل إنها أعتقته من الرق، وكان ضريرا، نشأ في البصرة وقدم بغداد، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية، وشعره كثير متفرق، من الطبقة الأولى، ولد سنة: 95 وتوفي سنة: 167هـ ، الأعلام للزركلي، 2/ 52.

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: الإِنْبِسَاطِ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ خَالِطِ النَّاسَ وَدِينَكَ لَا تَكْلِمَنَّهُ وَالدُّعَابَةِ مَعَ الْأَهْلِ، حديث رقم: (6129)، 30/8.

(5) السيرة النبوية من البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: عيسى البابي الحلبي، القاهرة، عام النشر: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م، 106/1.

(6) سورة يس، الآية (69).

(7) رواه البخاري في صحيحه، كِتَابُ: الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَنْ قَادَ دَابَّةَ غَيْرِهِ فِي الْحَرْبِ، حديث رقم:(2864)، 30/4.

(8) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده، حديث رقم: (977)، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر – مصر، ط1، 1419 هـ - 1999م، 248/2.

(9) سورة المسد، الآيات من (1 إلى 4).

(10) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم، وهو مولى جعونة بن شعوب الليثي، حليف حمزة بن عبد المطلب المدني، أحد القراء السبعة والأعلام، ثقة صالح، أصله من أصبهان، أخذ القراءة عرضا عن جماعة من تابعي أهل المدينة، منهم: عبد الرحمن بن هرمز الأعرج وأبي جعفر القارئ، روى القراءة عنه عرضا وسماعا: وعيسى بن وردان ومالك بن أنس وهم من أقرانه وعبد الرحمن بن أبي الزناد وعيسى بن مينا قالون وعثمان بن سعيد ورش والليث بن سعد وأشهب بن عبد العزيز، مات سنة تسع وستين ومائة وقيل: سبعين وقيل: سبع وستين وقيل: خمسين وقيل: سبع وخمسين، رحمه الله، انظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، الناشر: مكتبة ابن تيمية، ط: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر،330/2 - 331.

(11) سورة الكهف، الآية (22).

(12) سورة القصص، الآية (55).

(13) سورة النساء، الآية: (78).

(14) البحر الذي زخر في شرح ألفية الأثر، للسيوطي، تحقيق ودراسة: أبي أنس أنيس بن أحمد بن طاهر الأندونوسي، أصل هذا الكتاب: رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية، لناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المملكة العربية السعودية، عدد الأجزاء: ٤ (٣ والفهارس) (متسلسلة الترقيم) تنبيه: لم يكمل السيوطي هذا الكتاب، وهذه الطبعة تُشكل الشطر الأول فقط مما تركه السيوطي، وأما الشطر الثاني فحققه د. عبدالباري بن حماد الأنصاري في رسالتِه للماجستير بالجامعة الإسلامية ايضًا عام ١٤١٦ هـ، ولم تطبع حتى عام ١٤٤٢هـ، 106/1.

(15) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، حديث رقم: (17267)، المؤلف: للهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي،القاهرة

عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م ، عدد الأجزاء: 10/ 157- 158.

(16) دروس للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي المؤلف : محمد الحسن ولد محمد الملقب بـ"الددو" الشنقيطي، 16/13.

مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net.

(17) المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ – 1990، 670/3.
(18) دلائل النبوة للبيهقي، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط1 - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م5/ 207 - 208.
(19) سيرة ابن هشام، 285/2.
(20) رواه الحاكم في المستدرك، كِتَابُ: مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ - رضي الله عنهم - ذِكْرُ عَمْرو بْنِ الْأَهْتَمِ الْمِنْقَرِيِّ - رضي الله عنه - حديث رقم: (2567)، 710/3.
(21) رواه مسلم في صحيحه، كِتَاب: الشِّعْرِ، حديث رقم: (2255)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، عام النشر: ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م، 1767/4.
(22) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب المناقب، ذِكْرُ إِسْلَامِ الْعَبَّاسِ - رضي الله عنه - وَاخْتِلَافُ الرِّوَايَاتِ فِي وَقْتِ إِسْلَامِهِ، حديث رقم:(5417)، 269/3.
(23) سيرة ابن هشام، 2/ 181.
(24) لمحمد بن سلّام، تحقيق: محمود محمد شاكر، الناشر: دار المدني – جدة، 114/1 - 117.
(25) لابن شبة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد – جدة، عام النشر: ١٣٩٩هـ،3/ 786 - 787.
(26) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، 358/1.
(27) للسيوطي، 67/2- 69.
(28) سورة الزخرف، الآية (3)
(29) سورة الشعراء، الآية (195)
(30) سورة المعارج، الآية (37)
(31) سورة المائدة، الآية (35)
(32) سورة المائدة، الآية (48)
(33) سورة الأنعام، الآية (99)
(34) سورة الأعراف، الآية (26)
(35) سورة البلد، الآية (4)
(36) «العقد الفريد» (7/ 16):
(37) «العقد الفريد» (7/ 17):
(38) حديث رقم: (7091)، ص53.